واعلمْ أَنّ َ في الآية الأولى شيئاً آخرَ من جنسِ النظم وهو تعريفُ الرأس بالألفِ واللام وإِفادةُ معنى الإِضافة من غيرِ إِضافة وهو أحدُ ما أوجبَ المزيّ َةَ . ولو قيل : واشتعلَ رأسي . فصُرَ ّحَ بالإِضافة لذهبَ بعضُ الحُسْن فاعرفْه . وأنا أكتبُ لك شيئاً ممّا سبيلُ الاستعارةِ فيه هذا السبيلُ ليستحكمَ هذا البابُ في نفسِكَ ولتأنسَ به فمن عجيبِ ذلك قولُ بعض الأعراب - الرجز - : .

(اللّ َيْلُ داجٍ كَنَفَا جِلْبَابِهِ ... والبَيْنُ مَحْجُورٌ على غُرَابِهِ) .

ليس كلّ ُ ما ترى منَ الملاحَة لأنْ جَعَل للّ َيلِ جلباباً وحَجَر على الغرابِ . ولكن في أنْ وضعَ الكلامَ الذي تَرى فجعلَ الليلَ مبتدأً وجعل " داجٍ " خبراً له وفعلاً لما بعده وهو الكنفان وأضافَ الجلبابَ إِلى ضميرِ الليل . ولأنْ جعلَ كذلك " البينُ " مبتدأً وأجرى محجوراً خبراً عليه وأنْ أخرجَ اللفظَ على مفعولٍ . يبينُ ذلك أنك لو قلتَ : وغرابُ البينِ محجورٌ عليه أو : قد حُجر على غُرابِ البين لم تَجِدْ له هذه المَلاحةَ . وكذلك لو قلتَ : قد دجا كنفا جلبابِ اللّ َيل لم يكنْ شيئاً .

ومن النّ َادِر فيه قولُ المتنبي - الخفيف - : .

(غَصَبَ الدّ َهْرَ والمُلوكَ عَلَيْها ... فَبَنَاها في وَجْنَةِ الدّ َهرِ خَالا) .

قد ترى في أولِ الأمرِ أنّ َ حسنَه أجمعَ في أن جعلَ للدّ َهرِ وجنةً وجَعَلَ البنيّ َة خالاً في الوجنة . وليس الأمرُ على ذلك فإِنّ َ موضعَ الأعجوبةِ في أن أخرجَ الكلام مُخرجَه الذي تَرى وأن أتى بالخالِ منصوباً على الحال من قوله " فبناها " . أفلا ترى أنّك لو قلت : وهي خالٌ في وجنةِ الدّ َهر لوجدتَ الصّورة غيرَ ما ترى وشبيهٌ بذلك أنّ َ ابنَ المعتزّ َ قال :